رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

متاهة الهوّية اللبنانية

اكثر نقاط لبنان ضعفا الهوية الوطنية التائهة بين مناطق ترتبط بمحاور خارجية. ما يزيد الطين بلة، انه كلما تصادمت هذه المحاور اهتز البلد باهله. المؤسف ان احدا لا يتوقف ليكلف نفسه عناء السؤال: ماذا بعد؟ والى متى تكرار الماضي وجعله راهنا. شيء من الجنون يصيب المرء وهو يعاين احوال اللبنانيين. فلا هم يسألون عن مستقبل اولادهم ولا حتى عن ارواحهم وارزاقهم.

هاجس اللبنانيين الدائم والمستمر البحث عن قضايا كبرى فوق طاقة البلد وقدرته على الاحتمال: فنتدخل في امور لا تعنينا، ونعرض مساهمتنا في حل ملفات شائكة غير مطلوبة منا، حتى ليحسب المرء وكأننا اصبنا بداء تفشى في جسدنا السياسي والبيولوجي. الغريب ايضا ان قضايانا الرئيسية الكبرى التي تحتاج فعلا الى اهتمام شديد ومتابعة دقيقة وفعالة، بدءا من القطاع الصحي الى التربية والسكن والنقل والامن والتنمية، كلها ويالاسف تحُل في المرتبة الثانية عندنا.

اكثر ما يبرع به اللبنانيون هو تكثيف الاسئلة متى "ارتاحوا" الى ربط البلد بملفات الخارج القريب والبعيد. من هذه الاسئلة في السابق ماذا بعد حرب اوكرانيا، واليوم ماذا بعد غزة؟ اين موقع لبنان من التناقضات الخارجية التي ذهبوا هم اليها طوعا؟ دائما يسألون عن لبنان في خضم التعقيدات والانفجارات. لا يحسنون تحصين البلد وجعله قويا بهويته واقتصاده المعرفي والصحي والاجتماعي. وليس مغامرة القول على الاطلاق ان البلد صار معلقا على الاسئلة الصعبة وحتى المستحيلة. دائما وتكرارا: ماذا بعد الاستقلال؟ ماذا بعد الصيغة اللبنانية؟ ماذا بعد العام 1958؟ ماذا بعد حرب 1975؟ ماذا بعد اجتياح بيروت من العدو الاسرائيلي عام 1982؟ وصولا الى ماذا بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري؟ والان ماذا يضمن الطائف؟

كل الاجابات عن هذه الاسئلة هي عند اللبنانيين متى قرروا ان يكونوا لبنانيين لا يتبعون خارجا ما؟ فمن يصيغ الاسئلة عليه هو التفكير في نتائجها والبحث عن اجابات عنها.

الجواب الوحيد عن كل هذه الاسئلة هو في سؤال مضاد لها جميعها: اين الدولة؟ من سعى الى بناء دولة على قياس الجميع وتتسع للجميع، وليس على قياس طائفة او مذهب؟ الجميع كان يبحث كيف يأخذ مما تبقى من حطام الدولة اللبنانية التي تبقى الدولة الوحيدة التي لا تنطبق عليها حتى قاعدة ابن خلدون: طفولة فشباب ثم كهولة. ولبنان منذ كان فتيا رزح تحت وطأة ارجحيات وغلبة الجماعات المُكوّنة له. البرامج السياسية للاحزاب كلها بيمينها ويسارها، وبمؤمنيها وعلمانييها تفيض "قداسة سياسية".

الواقع الحقيقي الذي يجب العودة اليه ومواجهته بصدق شديد هو ان لا دولة عندنا، ولا وجود لدولة تكافؤ الفرص والكفايات والمهارات، ولا اعتبار او قلق من غياب دولة القانون وتسيد دويلات الطوائف والخوات وزواريب المخدرات ومناطق السيارات المسروقة. لم يبقَ شيء الا بددنا هويتنا الوطنية سعيا اليه ومن دون ان يسعفنا. ركضنا نحو الغرب، وهرولنا نحو الشرق وفي الحالين خسائر مُحققة وصافية في الجسدين اللبنانيين السياسي والبيولوجي. كانت النتيجة على الدوام: غيتوات طائفية، اقتصاد متخلف ورث، نسب مخيفة لهجرة الكفايات.

خضنا جميع المعارك الطاحنة والدموية في حق بعضنا البعض لكن معركة واحدة تخلفنا عنها وكلفتها ديموقراطية، الا وهي بناء هوية وطنية تستند الى الدستور والى المشتركات الكثيرة والكثيفة التي تبني نسيجا وطنيا يخرجنا من "متاهات" ضالة، دخلنا اليها طائعين. قد يكون هذا صوت المعركة الوحيد الذي لا يجب ان يعلوه اي صوت آخر: بناء الدولة العصرية والديموقراطية والخروج من سرديات عقيمة.

إلى العدد المقبل